المخالفة في ديوان علي وفا (807هـ) دراسة صوتية

م. د. يسرى ثجيل مذكور
جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد/ قسم اللغة العربية

إسراء كريم دويس الجمالي
جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد/ قسم اللغة العربية

yussra@ircoedu.uobaghdad.edu.iq
israa.kareem2303m@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

الملخص:

يتناول هذا البحث ظاهرة المخالفة الصوتية في ديوان الشاعر الصوفي علي وفا (ت: 807هـ)، بوصفها قانونًا صوتيًا يعمل عكس قانون المماثلة، حيث يسهم في إحداث تباين بين الأصوات بدلاً من تقريبها، درست الباحثة أنواع المخالفة: التقدمية، الرجعية، الكمية، الحذف، والتعويض، من خلال شواهد شعرية متعددة من ديوانه، وبيّنت أن هذه الظاهرة تسهم في التوازن الصوتي للغة وتحقق سهولة النطق والتفريق بين المعاني، كما أبرزت الجهد العضلي والذهني الذي تبذله اللغة العربية في تبني المخالفة حفاظًا على سلامة الأداء الصوتي والمعنوي، واعتمدت الباحثة في تحليلها على معطيات علم الأصوات الحديث والرؤية التراثية العربية.

الكلمات المفتاحية: المخالفة الصوتي، التوازن الصوتي، التغاير الصوتي، التباين الفونولوجي.

Abstract:
This study investigates the phenomenon of phonetic mukhālafa (contrast) in the Dīwān of the Sufi poet ʿAlī Wafā (d. 807 AH), considering it a phonological principle that operates in opposition to assimilation by promoting divergence between sounds rather than convergence. The researcher examined five types of mukhālafa: progressive, regressive, quantitative, deletion, and substitution, using multiple poetic examples from his dīwān. The study demonstrates that this phenomenon contributes to the phonological balance of the Arabic language, facilitates pronunciation, and aids in distinguishing meanings. It also highlights the articulatory and mental effort exerted by the Arabic language in adopting mukhālafa to preserve both phonetic clarity and semantic integrity. The analysis is grounded in both modern phonetic theory and classical Arabic linguistic tradition
Keywords: Dissimilation, Phonetic Balance, Phonetic Variation, Phonetic Contrast.

أهمية البحث:

تبرزُ أهميةُ هذا البحثِ في تسليطِهِ الضوءَ على جانبٍ صوتيٍّ دقيقٍ وغيرِ مطروقٍ بوفرةٍ في دراساتِ الشعرِ الصوفيّ، من خلالِ ربطهِ بنظريةِ المخالفةِ الصوتيةِ في ديوانِ عليٍّ وفا. كما يُسهمُ في الكشفِ عن تفاعلِ البنيةِ الصوتيةِ مع الدلالةِ الصوفيةِ، ويدعمُ فهمَ الأداءِ الجماليّ والفنيّ في الشعرِ العربيّ القديمِ، ويعزّزُ حضورَ الدراساتِ الصوتيةِ في النقدِ الأدبيّ.

مشكلة البحث:

يتمثّلُ الإشكالُ الرئيسُ في غيابِ دراسةٍ صوتيةٍ منهجيةٍ لظاهرةِ المخالفةِ في ديوانِ عليٍّ وفا، إذ لم تُجمع شواهدها الشعريةُ ضمن إطارٍ علميٍّ يُبرزُ أنواعها ووظائفها الصوتيةَ والدلاليةَ، رغمِ تأثيرها الواضحِ في بنيةِ الكلمةِ وانسجامِ النصِّ.

المقدمة:

المخالفةُ في اللغةِ: والخِلَافُ: "المُضادّةُ، وَقَدْ خَالَفَه مُخَالَفَة وخِلافاً" (ابن منظور.

المخالفةُ اصطلاحًا: هي"تعديلُ الصوتِ الموجودِ في سلسلةِ الكلامِ بتأثيرِ صوتٍ مجاورٍ، ولكنه تعديلٌ عكسيٌّ يؤدّى إلى زيادةِ مدى الخلافِ بين الصوتين"

إذ تُعدُّ المخالفةُ أحدَ القوانينِ الصوتيةِ، التي تسيرُ عكسَ اتجاهِ قانونِ المماثلةِ؛ فقد عرفنا أنَّ قانونِ المماثلةِ، يحُاولُ التقريبَ بين أصواتٍ بينهما بعضُ المخالفاتِ، وعلى اساسِ قانونِ المخالفةِ، يتمُّ تبديلُ أحدِ الصوتينِ المتماثلينِ تمامًا في كلمةٍ معينةٍ إلى صوتٍ آخرَ، وغالبًا ما يكونُ هذا الصوتُ من أصواتِ العلّةِ الطويلةِ أو الأصواتِ المتوسطةِ أو المائعةِ، ويُعرفُ هذا التبديلُ أو التغيرُ لدى علماءِ الأصواتِ باسمِ قانونِ المخالفةِ (عبد التواب:1997م،ص57)، "وإذن فالمماثلةُ والمخالفةُ يمثّلان عاملينِ يتجاذبانِ اللغةَ، ولكلٍّ منهما فاعليتُه وتأثيرُه، ولكلٍّ منها هدفُه وغايتهُ، ومن صراعهما يحدثُ التوازنُ بين مطلبِ سهولةِ النطقِ ومطلبِ سهولةِ التفريقِ بين المعاني"(عمر: 1997م، ص 386)، فذلك الجذبُ يحقّقُ السمةَ التوازنيةَ اللغويةَ التي يحكمُ بينَتها قانونا اختزالِ الجهدِ والجهدِ الأقوى(عبد الجليل: 2014م، ص292)

فينظرُ العلماءُ الى المخالفةِ على أنها تمثّلُ الوضعَ الأمثلَ لإعادةِ التناغمِ بين الأصواتِ، وهذا يعتبرُ امرًا ضروريًا لإظهارِ قيمةِ الفونيماتِ بصورةٍ مستقلةٍ، إذ

يساهمُ ذلك في تحقيقِ التوازنِ ويقلّلُ من تأثيرِ المماثلةِ (عبد الجليل: 2014م، ص291) إذتُعرفُ هذه الظاهرةُ الصوتية عند بعضِ الأصواتيين بالقوةِ السالبةِ في مجالِ اللغةِ، لأنها تهدفُ إلى خفضِ حدّةِ التناقضاتِ بين الأصواتِ (عمر: 1997م، ص 384)، (عبد الجليل: 2014م، ص291) فالمخالفةُ ظاهرةٌ موجودةٌ في كلِّ اللغاتِ، وقد ثبتَ أنَّ اللغاتِ تستعملُ السواكنَ الأنفيةَ والترددية بشكلٍ أكثرَ لتحقيقِ عنصرِ المخالفةِ لذلك فهي "جنوحُ أحدِ الصوتينِ المتماثلينِ في الكلمةِ إلى أن ينقلبَ إلى صوتٍ مغايرٍ" (المطلبي: 1984، ص283)

وقد ذكرَ اللغويونَ في تعليلهم لظاهرة المخالفة، أسبابا منها:

1) ميلُ المتحدثِ إلى تسهيلِ عملِ الجهدِ العضليّ العصبيّ الضروريّ عند إنتاجِ الأصواتِ خلال عمليةِ النطق (أنيس: ص140)، (عبد التواب:1997م،ص64)، (عبد التواب:2000م، ص46)، (عبد الجليل: 2014م، ص293)

2) عِلّةٌ أخرى نفسيّةٌ محضةٌ، نظيرُها الخطأُ في النطقِ (برجشتراسر: 1994م، ص34)

3) مخالفةُ الصوامتِ المضعفةِ، وهي عِلّةٌ نفسيةٌ أيضاً (برجشتراسر: 1994م، ص35)

وبذلك تهدفُ المخالفةُ إلى بيانِ جانبِ الدلالةِ من خلالِ اختلافِ الأصواتِ، من غيرِ مراعاةِ العواملِ النطقيةِ التي قد تتأثر بفعلِ التباين بين الصوتين، وفي المقابلِ تسعى المماثلةُ لتحقيقِ انسجامٍ في اللفظِ عبر تبسيطِ عمليةِ النطقِ، مهملةً الجانبَ الدلاليَّ الذي يمكن أن يتأثرُ ويتغيرُ نتيجةَ تجانس أو تقارب الصوتين (عمر: 1997م، ص 384) (عبد الجليل: 1998م، ص148) (شريف: 2023م، ص7)؛ الا ان سواء أكانت علة حدوث المخالفة ترجع إلى جوانب نفسية أو إلى تسهيل الناحية الدلالية عن طريق الممايزة، فإنها الوجه المقابل والمعدّل لآثار المماثلة لأنها تهدف في منحاها إلى التقليل أو التخلص

من الفروق المميزة للأصوات(بوروبة: 2002م، ص243) (يشو: 2006م، ص220)

واللغةُ العربيةُ كغيرها من اللغاتِ تحرصُ على المخالفةِ لما لها من دورٍ في تنوع موسيقي محبب تظهر معه الأصوات على حقيقتها نطقًا وسمعًا (يشو: 2006م، ص220) فمن "الواضحِ أنَّ النظامَ اللغويَّ والاستعمالَ السياقيَّ جميعًا يحرصانِ في اللغةِ العربيةِ الفصحى على التقاءِ المتخالفينِ، أو بعبارة أخرى يحرصانِ على التخالفِ ويكرهانِ التنافر والتماثلَ" (حسان:2006م، ص264)، (راشد:2018م، ص2200)

ولم يستقرَّ الصوتيونَ المحدثونَ على مصطلحٍ واحدٍ ضابط لهذه الظاهرة، بل تعددت تعابيرهم المقيدة لها وتراوحت بين ألفاظ: المخالفة (أنيس: ص139)، (عمر: 1997م، ص 384)، (عبد الجليل: 1998م، ص148)، والمغايرة (المطلبي: 1984، ص283) (رشيد: 2009م، ص43) والتباين (كانتينو: 1966م، ص26) (البكوش: 1992م، ص72) والمفارقة (فندريس: 1950م، ص91) التخالف (برجشتراسر: 1994م، ص34)

قد تنبّهَ اللغويونَ العرب القدماء لظاهرةِ المخالفةِ وكانوا يعبرون عنها أحياناً، بـ(كراهية التضعيفِ)، أو (كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد)، أو (اجتماع الأمثال مكروه)، أو (استثقلوا اجتماع حرفين) (سيبويه:1988م،424/4)؛ (ابن جني:2000م، 384/2)، (عبد التواب:1997م،ص62)، (الصيغ: 2000م، ص269)

فالقدماء اللغويين العرب قد عالجوا هذه الظاهرة، وإن كانت معالجتهم لهذه الظاهرة موزعة على أبوابٍ صرفيةٍ متنوعةٍ، كما كانت أمثلتُها متناثرةٍ ضمن هذه الأبوابِ دون منهجٍ ينتظمها، أو مصطلحٍ محدّدٍ يغطي حدودها، ولكن هذا لا يعني أنهم لم يعوا دورَها، أو لم ينتبهوا إلى أهميتِها، بل كانوا على وعي تامٍّ بها، وإِنْ لَمْ يَعْرِفُوها كمصطلحٍ فقد عَرَفُوها كظاهرةٍ صوتيةٍ تُعرضُ للأصواتِ في

السياقِ، فعالجوها وبتسمياتٍ مختلفةٍ، حتى تنوّعت ألفاظُ وتعابيرُ الواحدِ منهم في تقييدِ أمثلتها (بوروبة: 2002م، ص245) (يشو: 2006م، ص220)

أنواع المخالفة:

1.المخالفةُ التقدميةُ: تنقسمُ هذه المخالفةُ إلى نوعينِ: منفصلةٍ ومتصلةٍ، إذ يؤثّرُ الصوتُ الأولُ في الصوتِ الثاني، الذي يُعتبر هو المخالف، نحو: (مِنْطر) في: (مِمْطر)، و(كرناسة) في (كرّاسة) (عبد التواب:1997م، ص59) إذ اختارَ العربُ النونَ بديلًا عن تتابعِ ميمينِ كما في (ممطر)، وعن تتابع رائين كما في (كرّاسة)؛ وذلك لأَنَّ الناطقَ يُحسُّ بثقلِ الادغامِ فيها، وممّا وردَ مثالُ هذه المخالفةِ أبدالُ الهمزةِ الواقعةِ بين الفينِ في شعرِ عليٍّ وافا قولُهُ من موشّحٍ من المخلعِ البسيطِ (وفا: 2012م، ص42)

ظَهَــرْتَ فِــي ســائرِ اللطــائِفْ تــدعُو البرايــا إلــى التَّصــابي

وردتْ في هذا البيتِ لفظةُ (البرايا) وهي جمعُ (بريّةً)، وأصلها (بريئة) على وزن (فَعِيْلَة) تجمع على (برَايِئ) أي بياءٍ مكسورةٍ، وهي تعدُّ ياءَ المفردِ وبعدَها الهمزةُ وهي لامُهُ، إذ تُقلَبُ الياءُ همزةً (برَائِئ) فوقعتِ الهمزةُ الأخيرةُ متطرّفةً بعد همزةٍ فتقلبُ ياءً (برَائِي)، ثم قُلِبَتْ كسرة الهمزة فتحة للتخفيف(خَطَائَي)، ثم قلبت هذه الياءُ ألفًا لتحرّكِها وفتحِ ما قبلها فصارت (برَاءَا) بألفينِ بينهما همزةٌ، وهذه الهمزةُ تماثلُ الألفَ فاجتمعتْ ثلاثةُ ألفاتٍ وذلك مُستكرهٌ فقُلِبتِ الهمزةُ ياءً فصارت (برايَا) (سيبويه:1988م،377/4)، (المبرد: 1/ 139)، (الراجحي: ص163)، (سلمان: 2023ص1426). إذ نلحظ أنَّ المخالفةَ التقدميةَ المتصلةَ وقعتْ هنا فرارًا من تكرارِ الصوتِ الواحدِ ثلاثَ مراتٍ بعد أن عُدَّتِ الهمزةُ كالألفِ.

فمن خلال ذلك نلحظ أنّ المخالفة الصوتية في (البرايا) حقّقت انسيابًا صوتيًا لطيفًا يخفّف ثِقَل الهمزات، فجاء اللفظُ منسجمًا مع الدلالة الصوفية للبيت التي تقوم على دعوةٍ رقيقةٍ تُلامس القلوب برفق.

ومن ذلك أيضًا المخالفةُ بين المثلينِ المتباعدينِ في الكلمةِ بحذفِ أحدِهما والتعويضِ عنه بصامتٍ آخر، غالبًا ما يُعَوَّضُ بـ(الياء، والواو) أي بأشباهِ الحركاتِ، أو بأحدِ الأصواتِ المائعةِ، منه قولُهُ في مسمّطةٍ (وفا: 2012م، ص246)

مَولاي لبيك لبيك لبيك فليسَ للعبدِ عنك عائِقْ

ففي (لبَّيك) حدثت مخالفةٌ تقدميةٌ منفصلةٌ، فالأصلُ في لبيك (لبَّبك) من أَلَبَّ فجيء بالياءِ مكانَ الباءِ، وكان الوجهُ أن يُقالَ لَبَّيتُك، وقد أشارَ الخليلُ له بقوله: "وَيُقَالُ ألبَّ الرجلُ بمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا أَي أَقَامَ، وَكَانَ الْوَجْهُ أَن تَقول لبَّيتُك لأَنهم شبهوا ذَلِك باللَّبب" (الفراهيدي: 1995م، ص176) فبذلك تُبرز المخالفةُ في (لبَّيك) انسيابًا صوتيًا يخفف الثقل ويعكس إخلاص العبد ورقة الاستجابة لدعوةِ المولى في السياق الصوفي.

ومن أنواع هذه المخالفة التغير الصوتي الحادث في لفظة (أوَّل) من ذلك قوله في مسمط من مجزوء الرمل (وفا: 2012م، ص131)

هو أَوَّل وَهو آخِر وَهو باطِن وَهو ظاهر

فـ(أوَّل) إذ كان تأسيُس بِنائِه من همزةٍ وواوٍ ولامٍ اصلها (أأول)، فقلبت إحدى الهمزتينِ واوًا ثم ادغمت في الواو الأخرى، فهي مخالفةٌ تقدميةٌ لتأثيرِ الهمزةِ الأولى في الثانية، ومتباعدةٌ لوجودِ الصائتِ القصير بين الصامتين، أي وجود الفتحةِ بين الهمزتينِ (الفراهيدي: 2010م، 368/8)، (جسام:2023م، ص61)، تولد المخالفةُ في (أوَّل) انسيابًا صوتيًا يبرز التباين بين البداية والنهاية، فيعكس الإحساس بالأزلية والشمولية الإلهية في السياق الصوفي.

2. المخالفةُ الرجعيةُ: وفيها يؤثر الصوتُ الثاني في الأول، فيكون الأولُ هو المخالفُ، وتكون هذه المخالفةُ على نوعينِ متصلةٍ ومنفصلةٍ، ومثالُ ذلك في العربيةِ: (قيراطُ) و(دينارُ) بدلًا من (قرّاط) و(دنّار) بدليل الجمع: (قراريط) و(دنانير)، و(أملل) و(أملى) وفي القرآن الكريم: {وليملل الذي عليه

الحق}(البقرة: 282) (عبد التواب:1997م،ص58)، ومن أنواعِ هذه المخالفةِ فكّ تضعيف وتغيرُ الصوتِ الصامتِ - أول المثلين - إلى صامتٍ آخر، وكان الصوتُ الذي استعملَ لتحقيقِ عنصرِ المخالفةِ من الأصواتِ المائعةِ المتوسطةِ (ل. ر. ن. م) أو من أشباهِ أصواتِ اللينِ (و. ي)، أو من الاصواتِ الحلقيةِ (أنيس:ص141)، (إبراهيم: 2012م، ص. 425)، من ذلك قوله في مجزوء الرمل (وفا: 2012م، ص189- 190)

يـــا هَنـــا بـــي فـــي ســـرورٍ فُتِحَـــتْ بـــي بعـــد طَمْـــسِ
وابْتهـــــــاجِي بِحيـــــــاتي آمِـــنٌ مِـــنْ خَـــوْفِ رَمْســـي

ففي (طمس، ورمس) حدثتْ مخالفةٌ رجعيةٌ متصلةٌ، فأصلُ (طمس هو طسَّ) وكلاهما دلَّ على الذهابِ (ابن منظور: 1993م، 123/6)، و(رمس اصلها رسَّ) إذ دلَّ على معنى الدفنِ (ابن منظور: 1993م، 101/6) نلاحظُ تغيرَ الصامتِ في أول المثلين الى صوتٍ آخر من الأصواتِ المائعةِ وهو صوت (الميم) بسب ثقلِ المثلين؛ لان السين صوتٌ صفيريٌّ يخرجُ بتقاربِ طرفي عضوِ النطقِ رأسِ اللسانِ وهو العضوُ الأولُ وما بينَ الثنايا العليا والسفلى وهو العضو الثاني بانخفاضِ أقصى اللسانِ وعدمِ إلصاقه بالحنكِ الأعلى وبذلك يقلُّ التجويفُ الفميُّ ويكون اللسانُ منخفضًا في قاعِ الفمِ ومتجهًا رأسُه إلى الثنايا السفلى (تحت مخرجِ الصاد)، ويكون الاعتمادُ عليها ضعيفًا لوجودِ فرجةٍ بينهما أي عدم لصقِ رأسِ اللسانِ بالثنايا السفلى ويكون الوترانُ الصوتيانِ متباعدين في حالةِ همسٍ حيث يجري الهواءُ من خلالِ فتحةِ المزمارِ دون عائق أي يكون الاعتمادُ على مخرجه ضعيفًا (بشر: 2000م، ص301) (الحمد: 2004م، ص90- 91) لذلك جيءَ بالميمِ، وهو من الأصواتِ المتوسطةِ لتُبعدَ الثقلَ الحاصلَ من تضعيفِ المثلين، إذ يخرج بانطباقِ الشفة العليا العضوِ الأول بالشفةِ السفلى من الخارجِ (العضو الثاني) وعند نطقه وإن لم يكن اللسانُ دورًا يذكر إلا أنه ينخفض بأكمله في قاعِ الفمِ ولا يلتصق بالحنكِ الأعلى ويؤدي ذلك إلى تضييق التجويفِ الفميّ ولا

يكون للحرفِ مجالٌ ليتردد صداه والمنطبقُ من الشفتين هما الطرفانِ اللذان يليان البشرة ويحبس النفسَ برهةً من الزمن ويحبس الصوتَ مقدارَ الاعتدال وعند خروجِ الميمِ يجد المخرجُ مغلقًا بانطباقِ الشفتينِ من الخارجِ ذلك هو جانبُ الشدةِ في الميمِ (بشر: 2000م،ص348) (الحمد: 2004م، ص111-113)، تُبرز المخالفةُ الصوتية في (طمس، ورمس) انسيابًا صوتيًّا يخفف ثقل التكرار ويمنح الكلمات إحساسًا بالطمأنينة والتحرر من الخوف، معززًا الدلالة الصوفية للبيت في رمزية الذهاب والدفن الروحي للهموم.

ومن صور هذا النوع ما وَرَدَ في قواعدِ الصرفِ من قلبِ الواو همزةً إذا تصدرت قبل واوٍ متحركةٍ مطلقًا أو ساكنةً، ومن أمثلةِ ذلك قوله في مسمطةٍ من مجزوءِ الرجزِ: (وفا: 2012م، ص79)

قَـــــدْ خَلَـــــتِ الأوَانِـــــي وَسَـــــارَتِ المَعَـــــانِي

ف(الاواني) جمعُ إناءٍ على زنة فواعل، إذ اجتمعت واوان الثانيةِ منها اصليةٌ ليست منقلبة عن حرفٍ آخر، لذلك قلبتِ الواوُ الأولى همزةً فصارت (أواني)، وهذا ما نصّت عليه القاعدةُ الصرفيةُ بأن يخالف بين واوين متى اجتمعتا في أولِ الكلمةِ وتحقيقُ الحركةِ ينشأ عنه صوتُ الهمزة (الراجحي: ص161) وهذا هو نتيجةُ لتأثيرِ الواو الثانية على الواو السابقة لها لثقلِ التضعيف عن طريق المخالفة بينهما، فإبدالُ الواو المضمومة همزةً يرجعُ إلى كون الواو تستثقل ما لا يستثقل غيرها من الحروف، إذ يقول ابن جني: "وإذا التقت واوان في أولِ الكلمة لم يكن من همز الأولى بدٌّ، وذلك نحو الأولى أصلها وولى" (ابن جني:2000م، 110/1)؛ لذلك نلاحظ التزمَّ العربيةُ المخالفة بين الواوين متى اجتمعتا في أي سياقٍ صوتيّ. فتبرز المخالفةُ في (الأواني) تنوعَ المعاني وتدفقها في البيت الصوفي، حيث يعكس انسياب الصوت حركةَ الزمن والزوال الطبيعي للأشياء بما يتفق مع دلالة الخلود والتحول.

ومن أنواعِ هذه المخالفةِ أيضًا القلب المكاني، من ذلك قولُ الشاعر من البحر الكامل (وفا: 2012م، ص83)

قلبـــي اطمَـــأنَّ بأنَّـــه لَـــكَ شَـــاهِدٌ فِـــي حـــالِ إخفـــائي وحـــالِ وُضُـــوحِي

فـ(اطمأنَّ) اصلها (طأمن)، وهذا ما اشار اليه سيبويهُ وحجته بأن الأصل (طأمن)، فـ(طأمن) "غيرُ ذي زيادةٍ، واطمأنّ ذو زيادة، والزيادةُ إذا لحقتِ الكلمة لحقها ضربٌ من الوهن" (ابن جني: 76/2) (سيبويه: 1988م، 381/4)، فالطاء عند النطقِ به يتطلبُ تقعُّرَ اللسانِ منطبِقًا إلى الحنكِ الأعلى (أنيس:ص53)، أما الهمزةُ عند النطق بها يحدثُ انحباسًا للهواء في المزمار بصورةٍ تامةٍ، ثم بعد ذلك يحدثُ انفراجٌ للمزمار مفاجئ، إذ تستلزم هذه العملية جهدًا عضليًا قد يتعدى ما يستلزمه أي صوت آخر، مما يجعل ذلك اعتبار الهمزة من اشد الأصوات (أنيس:ص77)، لذلك تميلُ العربيةُ الى السهولة والتقليل في الجهد، فقلبُ صوت الميم محلّ الهمزة؛ لأن الميم عند النطق به يتخذ مجراه من الخيشوم (أنيس:ص66). وبذلك المخالفة في (اطمأنَّ) تخفف عناء النطق الشديد للهمزة، ممّا يعكس حالة الطمأنينة الداخلية للقلب ويتوافق مع الدلالة الصوفية للسكينة والوضوح الروحي.

ومن أمثلهِ هذا النوع من المخالفةِ التي تحدث بسبب التغير التاريخي، من ذلك قولُهُ في البحر الكامل (وفا: 2012م، ص20)

شـــمسُ الحقـــائقِ اشـــرقتْ فـــي كُـــلِّ مَـــا مَعنـــاهُ أبْـــدَعَ فِـــي الجمـــالِ وَأغرَبِـــا

كلمةُ "شمس" في الساميةِ الأولى هي: (شمش) كما هو الحال في الأكادية والعبرية والآرامية، والمعروفُ لدى علماء الساميات أن الشينَ في الساميةِ الأم تقلبَ في العربيةِ سينًا، وأن هذا القلبَ هو من قبيلِ التغييراتِ التاريخية لصوتِ الشينِ السامية وبتطبيقِ القانونِ التاريخي، تصبحُ الكلمةُ العربيةُ هي: (سمس) إلا أن المخالفةَ بين صوتي السينِ في الكلمةِ أدى إلى تحويلِ الأولى شيئًا (عبد التواب:1997م، ص57-58)، وبذلك تبرز المخالفة في (شمس) التباين بين

الصوتين المتشابهين، فتعزز وضوح النطق وإشراق المعنى مجسدةً دلالةَ الضوء والحقيقة في البيت.

3. المخالفةُ الكميةُ: تحدثُ المخالفةُ الكميةُ غالبًا بين المقاطعِ الصوتيةِ، ومن الأمثلةِ على ذلك التغيرُ الذي يصيب ضميرَ المفردِ الغائبِ حيثُ يُقصرُ حركتَه في اللغة العربية بعدَ المقطعِ الطويلِ، وبذلك تحدثُ المخالفةُ الكمية بين المقطعِ لكي لا يتوالى مقطعانِ طويلانِ يصعبُ نطقهما، كما في: (لهو- لهُ) و(لكي- لكِ) (عبد الجليل: 2014م، ص297) من ذلك قوله في البحر الكامل (وفا: 2012م، ص369)

زانَ الزمـــانَ بلُطفَـــهِ وجمالَـــهِ هـــان الهـــوانُ بظَرفِـــهِ ودلالِـــهِ

وقوله أيضا من البحر البسيط (وفا: 2012م، ص370)

العِلـــمُ دَرٌّ وَعِلـــمُ الحـــقِّ زُبدَتُـــهُ والقـــولُ بَحـــرٌ وقَـــولُ الحـــقِّ جـــوهَرُهُ

ففي (لطفهِ، وجمالهِ، وظرفهِ، ودلالهِ) و(زبدتهُ، وجوهرهُ) حدثت مخالفةُ في الكميةِ، وذلك بتقصيرِ صائتِ ضميرِ الغائبِ الهاءِ في حالةِ الافرادِ، إذ أن الأصلَ فيه أن يكون الصائتُ طويلًا، وهذا ما أشارَ اليه سيبويهُ: "اعلم أن الهاءَ أصلها الضمُّ وبعدها الواو؛ لأنها في الكلام كله هكذا" (سيبويه: 1988م، 195/4)، ثم أكدها المبرد من بعده، بقوله: "أَنَّ أَصْل هَذِه الهاءِ أَن تلحقها وَاو زَائِدَة لأَنَّ الهاءَ خُفْيَة" (المبرد: 36/1) إلا أن العربيةَ تعمدُ إلى تقصيرِ كميتها واختزالِ زمنها ليكون مقطعًا قصيرًا من خلال المخالفةِ الكمية، إذ يعللُ سيبويه سببَ حذفِ الياء والواو بقوله: "لأن الهاء من مخرج الألف، والألف تشبه الياء والواو، تشبههما في المد، وهي أختهما، فلما اجتمعت حروفٌ متشابهةٌ حذفوا، وهو أحسن وأكثر" (سيبويه:1988م،189/4)

4- المخالفةُ بطريقةِ الحذف: وهو حذفُ صوتٍ أو أكثرَ من صوتٍ من بنيةِ اللفظِ من غيرِ التعويضِ بصوتٍ آخر، هو من الظواهرِ اللغويةِ المعروفةِ في النحوِ العربيِّ (عبد التواب:1997م، ص72)

ومن أبرزِ الأمثلةِ على ذلك حذفُ نونِ الأفعالِ الخمسةِ عند توكيدها باستعمالِ نونِ، وذلك نحو: (لتضربان) والأصل (لتضربان +نِّ)، فمع التوكيد اجتمعت ثلاثُ نوناتٍ، لذلك فرق بينهما بحذفِ نونِ الأفعالِ الخمسةِ، لتسهيلِ عمليةِ النطقِ، وهذا ما أشارَ اليه سيبويهُ: "وإذا كان فعلُ الاثنينِ مرفوعًا وأدخلت النونُ الثقيلةُ حذفت نونُ الاثنينِ لاجتماعِ النوناتِ" (سيبويه:1988م،519/3)، ومما ورد مثالُ هذه المخالفة في ديوانِ علي وفا حذفُ نونِ الأفعالِ الخمسةِ مع نونِ الوقاية، قبلَ ياءِ المتكلم، أو مع ضميرِ المتكلمين المنصوب، قوله من البحر الوافر(وفا: 2012م،ص272)

فـــإن تَعْجَـــبْ فَممَّـــن يَحسُـــدُوني علَـــى مـــا لا يُحـــاوَلَ باحتيـــالِ

فـ(يَحسُدُوني) الأصلُ فيها (يحسدونني)، إذ حذفت نونُ الأفعالِ الخمسةِ لاجتماعها مع نونِ الوقايةِ، قبل ياءِ المتكلم، إذ حدثت مخالفةُ بالحذفِ لكراهةِ توالي الامثالِ، ومما تجدر الإشارةُ إليه أنها ليست الضرورةَ الشعريةَ هي المسببةَ في الحذفِ؛ لأنها وردت في النثر أيضًا (عبد التواب:1997م،ص73)، كما ور في عيون الاخبار: "لم تزعجوني من جواركم؟" (الدينوري: 1997م، 1/ 409)، وتفسير الطبري: "كنا نعطيهم في الجاهلية ستين وسقًا، ونقتل منهم ولا يقتلونا" (الطبري: 2000م، 8/ 510)، وبذلك تُبرز المخالفةُ بالحذف في (يَحسُدُوني) وضوحَ المعنى الصوفي للبيت، فتسهّل التعبير عن الحسدِ والنفور بطريقةِ انسيابية تُركّز على دلالة الموقف دون إعاقة الإيقاع الصوتي.

ومن أنواعِ هذه المخالفةِ لتوالي الامثالِ حذفُ الواو من اسمِ المفعولِ الاجوفِ، مثاله قوله من البحر الطويل (وفا: 2012م، ص231)

مَصُـــــونٌ سَـــــبَا الأغصـــــانَ والشـــــمسَ والمَهَـــــا

وَأَصْـــــــبَاهُمُ بِالقَـــــــدِّ وَالخَـــــــدِّ وَالحَـــــــدَقْ

ف(المصون) اسمُ مفعولٍ اصله (مَصْوُون) فنقلت الضمةُ التي على الواو الى الصادِ تبعًا لقاعدةِ الاعلالِ بالنقلِ، فيصير: مصُوْوْن، فاجتمعت واوان ساكنتان،

فحُذفت الثانية على الاغلب بقانون المخالفة بالحذف، فصير (مصون) (ابن السراج: 3/ 283) (ابن عصفور: 1996م، 1/ 296)، وبذلك تعزز المخالفة الصوتية في (المصون) وضوح النطق وانسيابه، بما يعكس دلالة البيت في حفظ الجمال والسكينة الروحية.

ومن أنواعِ هذه المخالفةِ أيضًا حذف إحدى الهمزتين في مضارعِ الافعالِ الثلاثيةِ التي تحتوي على همزةٍ زائدةٍ أي مضارع (أَفعل)، من ذلك قوله من مسمط الوافر (وفا: 2012م، ص27)

تَرَانِي عَنْكَ أُبْدِي كُلَّ غَائِبٍ وَأَنتَ هُوَ المُرادُ لِكُلِّ طالب

وقوله أيضا من مجزوء الرمل (وفا: 2012م، ص28)

لِيَ مَوْلًى هُوَ حَسبِي فَلِمَا أُتْعِبُ قَلْبِي

فـ(أَبْدِي، وأَتْعب) المضارع منه (أُأَبدي، وأُأَتعب)، فهنا اجتمعت همزتان: همزةُ المضارعةِ وهمزةُ (أفعل)، فعمدت العربيةُ إلى المخالفةِ بينهما اقتصادًا في الجهدِ العضليّ عن طريقِ حذفِ إحداهما وهي الهمزةُ الثانية من (أُأَفعل) نظرًا للوظيفةِ اللغويةِ التي تؤديها همزةُ المضارعة، ومن ثم أصبح الفعلان (أُبْدِي، وأُتْعِب)، فحذفت العربيةُ إحدى الهمزتين بسب ثقل تتابعهما، إذ يقول سيبويه في هذا: "فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا" (سيبويه:1988م،549/3)، وبذلك تُسهّل المخالفةُ في حذفِ الهمزتينِ انسيابَ النطق، فتُبرز إخلاصَ المتحدث وتلقائية تعبيره عن ارتباطه الروحي بالمراد الإلهي دون تعقيد صوتي.

ومن امثلة هذا النوع أيضًا ما يجري في صيغةِ (تفعّل، وتفاعل، وتفعلل) مع تاءِ المضارعةِ، من ذلك قوله من بحر المخلع البسيط (وفا: 2012م، ص207)

حُكمُكَ إذ كَثُرَ التجلِّي تَمَيَّزَ الأصلُ والفروعُ

وقوله أيضا من موشح مجزوء الرمل (وفا: 2012م، ص390)

وَعَنِ الغَيرِ تعَامِى فهو لله وباللّٰهْ

وقوله أيضا من مجزوء الكامل (وفا: 2012م، ص208)

يـــا قلـــبُ بعـــدَ تَرَوُّعِـــي عِـــشْ وانـــتعشْ وترعـــرعِ

فـ(تجلّى، وتميَّز، وتعامى، وترعرع)، فالأصل فيها (تتجلّى، وتتميّز، وتتعامى، وتترعرع)، ألا إنَّ اللغةَ العربيةَ تميلُ إلى تسهيلِ النطقِ وتقليلِ المجهودِ العضليّ، لذلك حدثت مخالفةٌ بحذفِ أحدِ التائين والاكتفاءِ بتاءٍ واحدةٍ، لذلك حُذف إحدى المتماثلين بسبب ثقلِ تتابعهما، لأنَّ نطقهما متتابعين ثقيلٌ على اللسانِ، واختلافُ الحروفِ أخفُّ من ذلك، وأنَّ الناطقَ بصوتين متماثلين يجدُ صعوبةً، إذ على اللسانِ كلفةٌ شديدةٌ في الرجوعِ إلى المخرجِ بعدَ انتقاله عنه (سيبويه:1988م،417/4)

ففي كلِّ اللغاتِ يجدُ الناطقُ صوبةً في نطقِ الصوتين المتماثلين، إذ يقولُ بروكلمان: "إذا توالى مقطعان، أصواتهما الصامتةُ متماثلةٌ، أو متشابهةٌ جدًا، الواحدُ بعدَ الآخرِ في أولِ الكلمة، فإنه يكتفى بواحدٍ منهما بسببِ الارتباطِ الذهنيّ بينهما" (بروكلمان: 1977م، ص79) فالمخالفةُ الصوتيةُ في حذفِ إحدى التائينِ في (تجلّى، وتميَّز، وتعامى، وترعرع) تُسهّلُ النَّطقَ وتُخفّفُ الجهدَ العضليَّ على اللسانِ، فيعكس سلاسة التجلي الروحي وبيان المعاني.

5. المخالفة بالتعويض: أي تعويضُ حرفٍ مكانَ حرفٍ، من ذلك قولُ الشاعرِ من موشح (وفا: 2012م،ص213)

خضـــوعُكُم رَفْـــرَفُ الصـــعود وحـــبُّكم حَضـــرةُ الوجـــود

وقوله أيضا من البحر الرمل (وفا: 2012م،ص334)

دَنْـدَنوا حَـوْلَ الحِمَـى دَهْـرًا طـويلًا قَبْـلَ أنْ لاحـتْ لهـمْ منـه مَبَـاني

فـ(رفرف، ودندن) اصلها (رفَّف، ودنَّن) على زنة (فعَّل)، وبسبِ توالي الامثال الذي يؤدي صعوبةً في النطقِ، ويتطلب جهدًا عضليًّا كبيرًا؛ اختُزل المشددُ وعُوِّض عنه بصوتٍ مماثلٍ للفاء، ف(فعفل) اصلها (فعَّل)، وهذا ما أشار اليه الفراء(ت207ه) بقوله: "والعرب تردد اللام فِي التضعيف فيقال: كركرتُ الرجلَ يريدون: كررْته وكبكبته، يريدون: كببته، وأتيت فلانًا فبشبش بي من البشاشة،

وإنما فعلوا ذَلِكَ كراهية اجتماع ثلاثة أحرف من جنس واحد" (الفراء: 1955م، 3/ 114)

ولفظُ (الحمى) أيضًا اصله (الحمَّ)، إذ عُوِّض عن الميم بصوت المد بسب ثقل التضعيف، وإنَّ صوتَ المد حرفٌ منفتحٌ لا طباقَ فيه، وهذا ما أشارَ إليه سيبويه، بقوله: "اعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم، وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد" (سيبويه:1988م،417/4)

إذ نلاحظ أن قانون المخالفة هو أحد نتائج نظرية الاقتصاد والسهولة، لأنها تميل إلى لمس الأصوات السهلة والبسيطة التي لا تتطلب مجهودا عضليا، إذ تلجأ اليه اللغة العربية حين ما يتسرب إلى أبنيتها ما يتنافى مع ذوقها، لذلك فالنظام الصوتي يحرص على التخالف ويكره التنافر والتماثل؛ لأنهما لا ينسجمان وطبائع العرب في مزج أصواتها، كما يجنح إلى الفرار من التماثل، لأنه قد يوقع في اللبس. وعليه، فإن ميل العربية إلى التخالف وإيثارها له فذلك لأنه يعين على أمن اللبس بوساطة ما يهيئه من المقابلات أو الفروق بين المتخالفين (حسان:2006م، ص264- 265).

الخاتمة:

في ختام هذا البحث، تبيَّن أن ظاهرة المخالفة الصوتية تمثل قانونًا لغويًا دقيقًا يسهم في تحقيق التوازن بين الجمال النطقي والدقة الدلالية. وقد برز هذا الأثر جليًا في شعر علي وفا، حيث استثمر المخالفة لتكثيف الإيقاع وتنويع البنية الصوتية. كما أظهرت الأشعار قدرة الشاعر على توظيف هذه الظاهرة بما يخدم تجربته الصوفية والوجدانية. وعليه، فإن المخالفة ليست مجرد ظاهرة صوتية، بل أداة فنية تثري البناء الشعري وتعمّق أثره الجمالي.

نتائج البحث:

1. توظيف المخالفة لإحداث تنغيم صوتي مميز: استخدم الشاعر علي وفا المخالفة الصوتية كوسيلة جمالية لإضفاء تنوع موسيقي محبب في إيقاع الشعر،

مما ساهم في تعزيز جمالية النص وإبراز الأصوات بنغم متميز يتلاءم مع الطابع الصوفي التأملي.

2. تحقيق الاتزان بين اللفظ والمعنى: ساعدت المخالفة في شعر علي وفا على تحقيق توازن دقيق بين وضوح الدلالة وسلاسة النطق، فكل تغيير صوتي مقصود يعكس رغبة في التفريق المعنوي دون الإخلال بالسلامة الإيقاعية أو البلاغية.

3. الابتعاد عن التماثل الصوتي المملّ: أتاحت المخالفة للشاعر التحرر من رتابة التماثل الصوتي، فكانت وسيلة للهروب من التكرار الصوتي الثقيل، مما يدل على حسّ لغوي موسيقي مرهف يتوافق مع روحه الصوفية التي تميل إلى الخفة واللطافة

4. إبراز البنية الصرفية والصوتية بصورة مبتكرة: ساعدت المخالفة في شعر علي وفا على إظهار البنية الصرفية للكلمات بشكل أكثر مرونة وابتكارًا، من خلال تكسير القوالب المألوفة وتوليد تراكيب صوتية غير معتادة، مما أضفى على شعره طابعًا لغويًا متجددًا يعكس قدرته على توظيف إمكانات اللغة بما يخدم تجربته الصوفية.

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم، هيام فهمي، 2012م، المخالفة (دراسة صرفية صوتية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة)، ط 1، دار الافاق العربية -القاهرة.

2. ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي، د. ت، ت: عبد الحسين الفتلي، د. ط، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت.

3. ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، د. ت، الخصائص، ط 4، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

4. ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني،2000م، سر صناعة الإعراب،ط1، بيروت، دار الكتب العلميّة.

5. ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، 1996م، الممتع الكبير في التصريف، ط 1، مكتبة لبنان.

6. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، 1993م، لسان العرب، ط 3، صادر - بيروت.

7. أنيس، إبراهيم، د. ت، الأصوات اللغوية، د. ط، مطبعة نهضة مصر.

8. برجشتراسر، 1994، التطور النحوي، اخرجه وصحح عليه: رمضان عبد التواب، ط 2، مكتبة الخانجي -القاهرة.

9. بروكلمان، كارل، 1977م، فقه اللغات السامية، ت: رمضان عبد التواب، د.ط، جامعة الرياض.

10. بشر، كمال،2000م، علم الاصوات، د. ط، دار غريب للطباعة للنشر والتوزيع.

11. البكوش، الطيب، 1992م، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ت: صالح القرمادي، ط 3، مكتبة الإسكندرية.

12. حسان، تمام، 2006م، اللغة العربية معناها ومبناها، ط 5، عالم الكتب.

13. الحمد، غانم قدوري، 2004م، المدخل الى علم أصوات العربية، ط 1، دار المطبوعات والنشر- عمان.

14. الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، 1997م، د. ط، دار الكتب العلمية -بيروت.

15. الراجحي، د. ت، التطبيق الصرفي، الناشر دار النهضة العربية -بيروت.

16. رشيد، فوزي، 2009م، قواعد اللغة السومرية، ط 1، دار صفحات للدراسات والنشر.

17. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، 1988م، الكتاب، د. ط، القاهرة، مكتبة الخانجي.

18. الصيغ، عبد العزيز، 2000م، المصطلحات الصوتية في الدراسات العربية، ط 1، دار الفكر - دمشق.

19. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، 2000م، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، ط 1، مؤسسة الرسالة.

20. عبد التواب: رمضان، 1997م، التطور اللغوي مظاهرة وعلله وقوانينه، ط3، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

21. عبد التواب، رمضان، 2000م، لحن العامة والتطور اللغوي، ط 2، مكتبة زهراء الشرق.

22. عبد الجليل، عبد القادر، 2014م، الأصوات اللغوية، ط 2، دار صفاء - عمان.

23. عمر، احمد مختار، 1997م، دراسة الصوت اللغوي، د. ط، عالم الكتب - القاهرة.

24. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، د. ت، ت: أحمد يوسف النجاتي/ محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط 1، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر.

25. الفراهيدي، أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد، العين،2010م، د. ط، مصر، دار ومكتبة الهلال.

26. فندريس، 1950م، اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلى، ومحمد القصاص، مكتبة الانجلو المصرية.

27. كانتينو، جان، 1966م، دروس في علم أصوات العربية، ت: صالح القرمادي، ط 1، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية.

28. المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، د. ت، المقتضب، ت: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب- بيروت.

29. المطلبي، غالب فاضل، 1984، في الأصوات اللغوية (دراسة في أصوات المد العربية)، د. ط، دائرة الشؤون الثقافية.

30. وفا، علي بن محمد(807ه)، ديوان، تحقيق أنس عطية الفقي، ط 2012م، جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا.

الرسائل والدراسات:

1. بوروبة، المهدي، 2002م، ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري: (أطروحة)، المهدي بوروبة: جامعة ابي بكر بلقايد -- تلمسان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية.

2. يشو، جيلالي، 2006م، المماثلة والمخالفة بين الفصحى والعامية (دراسة صوتية -- منطوق ندرومة نموذجا): (رسالة ماجستير)، جامعة ابي بكر بلقايد – تلمسان/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

المجلات والدوريات:

1. جسام، احمد بريم،2023م، الظواهر الصوتية في خلق الإنسان، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد (62)، العدد(2).

2. سلمان، زينة عبد الله، 2023م،الياء وتحولاتها في اللهجة العراقية، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 62، العدد1.

3. راشد، فاطمة كاظم خضير، 2018م، المماثلة والمخالفة في ضوء العربية ولهجات شبه الجزيرة العربية – دراسة موازنة – صوت السين أنموذجا، د. فاطمة كاظم خضير راشد، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد (29)، العدد(2).

4. شريف: رجاء مهدي، 2023م، الابدال الصوتي بين الصوامت والصوائت وأثره في تنوع الدلالة (مرويات النساء الواردة في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (606هـ) أنموذجا)

.